

طوبى ترفع قيمة التراث الفكري السنغالي

نشهد، مع اقتراب الاحتفال بذكرى نفي مؤسس الطريقة المرينية، أحمد بمب امباكي خادم الرسول الي غابون(Gabon)، أعمالا هامة تحت اشراف أحفاده .من بينها، بناء جامعة تحمل اسم الشيخ، تقديم جملة من البحوث عن الطريقة المرينية، جلسة لدراسة آثار الاحتفالات السالفة اجتماعيا واقتصاديا، أضف الي ذلك ندوة جامعة غاستون بيرجر المنظومة لهذ الغرض في سانت لويس. لهذه الأحداث أهمية خاصة، إذ أنها تنزامن مع مهرجان العالمي الثالث للفنون الزنجية، المنظمة لإثبات مساهمة السود في الحضارة الإنسانية لعالم القرن الحادي والعشرين و تفكيك حجج منكري التاريخ و المنشائمين في حال أفريقيا.ولكن، حين يقوم انصار الزنوجة و مروجو قيم السود بهذه المهمة ، هل حاولوا زما ابداء أهمية تراث سنغال الفكري والروحي ؟ هل أشادوا يوما بمتقيها الأوائل ؟ هل اعتبروا من ملؤوا قرني الثامن عشر و التاسع عشر شعرا من أبنائها؟هل أبرزوا وقتا عراقا مدرسة سنغال الشرقية ودورها في أنسنة و تحرير شعوبها الأصلية والحفاظ على ثقافتها؟

ذاك عدة تساؤلات أثارها الأحداث المذكورة أعلاه، نري أنها تستحق النظر .

أ) تراث سنغال الفكري و الروحي

منذ عام 2002 يُحيي هذا الإحتفال بتنظيم مؤتمرات هامة تناقش فيها موضوعات متعلقة بالطريقة المرينية وشخصياتها البارزة . قد ساعد ذلك على إعطاء هذا الحدث صبغة علمية يزيد من رضا ضيوف مدينة طوبى الأخصاء . فقيام دائرة روض الرياحين، تحت رئاسة أحمد بدوي، نجل شيخ فاضل امباكي ثاني خلفاء مؤسس الطريقة، بنشر أعمال هذه المؤتمرات، تُيسر الاستفاداة من هذه التبادلات الغنية. فصورة المثقف أحمد بامبا مباكي، ورجل العلم شيخ طوبى، وكذا صورة الزعيم الديني خادم الرسول، رُسم في هذه الأعمال بأحسن وجه. كما استعرضَ فيها المُتخصصون تاريخ المرينية والتزام مؤسسها بتعاليم القرآن، والسنة، والعلم، والعمل، ووحدة المسلمين، والسلام. من المؤكد أن تقديم الطريقة المرينية بهذا الشكل سوف تثير فضولية العلماء الباحثين في الحكمة السنغالية وفلسفتها. لاغرابة في ظروف كهذه أن تُوضع اللبنة الأولى، لجامعة شيخ أحمد بامبا

ب) جامعة شيخ أحمد بامبا

إن هذه الجامعة تُكمل بالتأكيد الصورة الأكاديمية السنغالية: إذ أنه، حتى الآن، لا توجد مؤسسة تعليمية عليا من المؤسسات العامة تحمل اسم رمز من رموز ثقافة سنغال الاوائل. فما قام به مام مور امباكي، الإبن البار لمرتضى امباكي، واحد من أكبر رعاة النظام التعليمي الشعبي السنغالي، يُملئ هذه الفجوة و يردُّ لكتاب سنغال السابقين و حكماءها الدائمين اعتبارهم في عيون قادة الدولة السنغالية. إذ أنه، لم يكن قط في وسع هؤلاء الحكام، تسليط الضوء على إرث الروحي والفكري للسنغال كثرء تركه شيوخ الطرق الصوفية لصالح هذا الوطن. لم يعترفوا أبدا بأن التاريخ الثقافي السنغالي، لايمكن أن يُكتب مع تجاهل دورهم، كما أن المكتبة العلمية لهذ البلاد بلا أعمالهم سوف تكون فقيرة جدا

في النهاية، من حسن الحظ أن يقوم أحفاد شيخ طوبى بإحياء وتعزيز التراث الروحي والفكري لسنغال . فذلك يُذكرنا بأن اسم سنغال يُمكن أن يُكتب أيضا من اليمين إلى اليسار دون أي نقص من قيمتها، كما ان الحروف الأبجدية المستخدمة في هذا البلد لم تنحصر في عدد حروف اوروبا السنة و العشرين. إذ هكذا يسير هؤلاء الأحفاد على خُطى جدِّهم الذي واجه العَدُوَّ المسلح بالعلم والإيمان فقط. وهُنا، تجدر الإشارة إلى أن هذا الاتجاه الجديد، الذي باركه الشيخ صالح امباكي وخلفاؤه، هو عمل خريجي نظام التعليم العربي الإسلامي العريق من الشيوخ الشبان. ياليتهم يُقننُون !

مامادو يوري سال

أستاذ و باحث في جامعة غاستون برجيه السنغالية